



النص بين الشكلاية الروسية والمدرسة اللغوية.

الدكتورة: فاطمة فارز جامعة ابن خلدون تيارت¹

الملخص:

يتطلب النص معرفة واسعة، فقد اختلفت وتنوعت البدايات والمنابع التي استقى منها مفاهيمه وتصوّراته، وكذا مناهجه. وتجلت هذه البدايات في اجتهادات ودراسات لغوية و أدبية، وتمثل هذه الموروثات مساهمة جادة في بلورة تصوّر مناسب لعلم يعنى بنسيج النص ومركباته اللفظية وأبعاده الدلالية. ومن هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر: المدرسة الشكلاية الروسية، ومدرسة براغ اللغوية، ومدرسة بلومفيلد التوزيعية وأخيرا مدرسة تشومسكي التوليدية التحويلية.

الكلمات المفتاحية:

النص؛ الشكلاية؛ الأدبية؛ موت المؤلف؛ المؤلفات المباشرة؛ المؤلفات النهائية؛ إقصاء المعنى؛ الجملة؛ البنية السطحية؛ البنية العميقة.

Résumé :

Le texte exige une large connaissance, des commencements différents ont varié qui sont il a tiré des concepts et des perceptions, aussi bien que les programmes d'études. Ceci est reflété dans les débuts des études linguistiques et littéraires, ces réalisations la contribution sérieuse à l'élaboration d'une perception appropriée, je veux dire, le texte et composés des dimensions sémantiques. Entre autres, un exemple exclusif de ces œuvres, en effet, l'école de formalisme russe, l'école de Prague de linguistique, et l'école Bloomfield Distributionnelle. Enfin l'école Générativiste transformationnelle de Chomsky.

Mots clés : Le texte ; formalisme ; littérarité ; décès de l'auteur ; les constituants immédiats ; les constituants terminaux ; exclusion de sens ; la phrase ; structure de surface ; structure de profonde.

¹ - تاريخ الابداع : 2017-06-06 تاريخ الموافقة : 2017-10-02

لقد حصلت الدراسة اللغوية على الشرعية العلمية في القرن العشرين بفضل "دي سوسير De Saussure" الذي جدد مناهج البحث في معالجة اللغة وتحليلها، وكرس حياته القصيرة لمجموعة من المبادئ أسست مدرسة لسانية قائمة بذاتها، شق خطوة علمية في اللسانيات لها مفاهيمها ومصطلحاتها ومناهجها الخاصة، وباتت أنموذجا رائدا في العلوم الإنسانية تصارع العلوم الدقيقة في علميتها ونتائجها الخاضعة للمنهج العلمي فكان لها الأثر البين في العلماء الذين عاشوا في عصره وفي المدارس اللسانية و الأدبية التي تأسست بعده، فغدت علما واصفا ومحللا للظاهرة وليست مادة معيارية⁽⁰¹⁾. وقد كان لدي "دي سوسير De Saussure" تأثير عظيم، لا يداينه تأثير في تكوين وبلورة وتطوير نظرية علم اللغة الحديث⁽⁰²⁾. الذي يسعى إلى وصف الأنظمة اللغوية، وقد شكّلت لسانياته محورا أساسيا وتحولا معرفيا أدت إلى تأسيس الوعي المنهجي في الثقافة الغربية وتوحي الفكر الأوربي بكلّ تجلياته المتنوعة. ويظهر ذلك جليا في المدارس اللغوية و الأدبية التي ظهرت بعده.

1- التجربة الشكلانية:

تأثر الشكلانيون الروس بالآراء اللسانية "دي سوسير De Saussure"، واجتهدوا في إيجاد علم أدبي انطلاقا من الخصائص الجوهرية للمادة الأدبية التي هي المادة اللغوية في حد ذاتها لإدراكهم أنّ ما يميز النصّ الأدبي، عن أي نص آخر هو اللغة في وظيفتها الجمالية؛ كما اهتمت الشكلانية الروسية بالعلاقة بين اللغة والأدبية، وكذا بالأعمال الأدبية من خلال الشكل واستقلال الوظيفة الجمالية عن الجوانب الشخصية والاجتماعية.

لقد كانت الضرورة الأولى للشكلانيين متمثلة في تأسيس علم أدبي يتولى تحديد القوانين العامة المهيمنة في الأدب التي من خلالها يصبح نص ما أدبا، ومن هنا تبدأ رحلة التفسير من النص إلى الأدب، ومن الأدب إلى النص انطلاقا من القناعة التي أعلن عنها "تودوروف Todorov"⁽⁰³⁾.

فالأدب ينشأ من الأدب، من هنا يتقارب الإجراء الشكلاني مع نظرية "دي سوسير De Saussure" في دراسة الظاهرة اللغوية أو اللسانيات ذلك العلم المستقل الذي يتولى دراسة نظام اللسان البشري من خلال ملاحظة اللغة . فالفكر الشكلاني لم يتشكل دفعة واحدة، لذلك يصعب تحديد مفهوم الشكلانية في تعريف شامل؛ إذ لا نجد في كتاباتهم سوى مقاربات فعلية تلامس النصوص

بطريقة مباشرة، ولا نجد مجالاً للمناقشات النظرية إلا عرضاً وفق ما تقتضيه أوليات التوضيح والإبانة، مع أنهم طرحوا قضايا تتعلق بنظرية الأدب ومشكلاته الأساسية، لكن البحث الأولي للشكلانية وتحديد المرجعية الفكرية أمر ضروري لا مناص منه وإلا لما استقام الفكر الشكلاني أصلاً⁽⁰⁴⁾.

والشكلية Formalisme تعني الاهتمام بالشكل؛ أي المظاهر التركيبية للنص، ذلك أن الشكلانيين قد رفضوا الفصل بين الشكل الفني والمضمون، وأعلنوا استقلال وأولوية الشكل في الأعمال الأدبية والفنية؛ لأنّ مبتغاهم هو خلق نظرية أدبية تقوم على النصّ في حدّ ذاته دون أخذ المقاربات الاجتماعية، والتفسيّة، والثقافية. فقد توسّع مفهوم الشكل عند أصحاب هذا الاتجاه (الشكلايون الروس) « بحيث يندرج فيه الإدراك الجمالي. وتعريفهم للعمل الفني بأنّه مجموع عناصره»⁽⁰⁵⁾.

كما أسهم الشكلانيون الروس في إرساء جملة من المفاهيم والحقائق الإجرائية المتعلقة بدراسة النصّ من خلال الاهتمام بشكلية اللغة من حيث هي تراكيب وأصوات ودلالات، وباعتمادهم على أدوات نقدية ولسانية قادتهم إلى الوقوف على أدبية النصّ المحتواة في إعادة مساءلة النصّ من حيث هو مجرد "نص" أو "مدونة كلامية".

لقد عدّ الشكلانيون الروس « أول من تبه إلى أنّ النصّ منظومة هي تحدّد وظيفة الأدوات الأدبية؛ إذ أصبح موضوع الأدب على أيديهم هو الأدبية، وليس أي موضوع نفسي أو اجتماعي أو تاريخي»⁽⁰⁶⁾.

فالدراسات الحديثة «عنيت بالتحليل الفني للنصوص الأدبية، مخالفة للاتجاه الذي ظلّ سائداً حتى أوائل هذا القرن وهو الاتجاه المعمول به في جامعاتنا نحو التفسير الخارجي سواء أ جعل النصّ الأدبي حلقة في سلسلة تطورية من الأعمال الأدبية المشابهة، أم انعكسا لظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو شخصية؛ لم يكن من الغريب، قبل المدرسة البنيوية، أن يتحدث الدارس عن كثافة اللغة الشعرية واستعصائها على التحديد المعجمي»⁽⁰⁷⁾.

فالكلمة—من جهة—متعددة الدلالات داخل النصّ نفسه، ومن جهة أخرى ذات ارتباطات تتجاوز النصّ إلى كلّ ما كتب قبله؛ بل إلى كتاب الحياة نفسه كما يعبر "بارت Barthes". وإثماً يكتسب المفهوم أبعاداً جديدة عندما يرتبطان بالأصول الفكرية المميّزة للمذهب البنيوي⁽⁰⁸⁾.

و على العموم بإمكاننا القول إنَّ النظرية الشكلية ركزت على دراسة النص في ذاته بدل جعله وسيلة تنتهي وظيفتها وقيمتها بمجرد تحقيق الهدف منها. ومن ثمَّ فهو موضوع "علم الأدب" هو الأدب نفسه، وليس مجرد ذريعة للإفاضة في دراسات جانبية أخرى. وقد تكون هذه لفئة إلى الاستخدام النصي للغة التي تكتسب معناها من داخل النص، وليس من خارجه على الرغم من أنَّ البحوث اللغوية والأدبية (في تلك الحقبة من الزمن) لازالت بعيدة عن تحقيق نظرية متكاملة في اللغة⁽⁹⁾.

يقول صلاح فضل معبراً عن منهج الشكلانيين الروس في الدراسات الأدبية واللغوية « وفي تحليلاتهم لبنية الوقائع الأدبية - على حدِّ تعبيرهم - وميكانيزم العملية الأدبية كانوا ينجحون إلى استبعاد الثنائية التقليدية المكوّنة من الشكل والمضمون وإحلال فكرتين محلها: المادة من ناحية والوسيلة أو الأداة أو الإجراء من ناحية أخرى؛ لأنَّ هذه المصطلحات الأخيرة تتسم من وجهة نظرهم بعدة مميزات منهجية؛ إذ يتمُّ بها إقناذ وحدة العمل الأدبي العضوية وأنَّ فكرة التعايش في الشيء الجمالي بين عنصرين متعاصرين وقابلين للانفصال في الظاهر توحى بوجود مرحلتين متعاقبتين في العملية الأدبية المرحلة السابقة على التشكيل الجمالي والمرحلة الجمالية»⁽¹⁰⁾.

هذا يعني أنَّ الشكلانيين الروس قاموا بتحديد مجال الدراسة الأدبية واللغوية برفض العلوم المجاورة لها على اعتبار أنَّها عوائق وبالتالي جعل الموضوعات الأدبية مادة للنقد الأدبي، رابطين بينها وبين نظرية جمال مستقلة بدورها عن نفسية المبدع من ناحية، وعن الموضوع الاجتماعي الذي يشير إليه بأدواته وإجراءاته الخاصة من ناحية أخرى. وعلى هذا يكون الشكلانيون أوَّل من ألغى التمييز بين الشكل والمضمون⁽¹¹⁾.

وفي هذا الصدد، يقول "جاكوبسون Jakobson": «إنَّ موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإثما الأدبية؛ أي ما يجعل من عمل أدبيا»⁽¹²⁾؛ إذ يذهب أتباع هذه المدرسة - نقصد الشكلانيين الروس - إلى ضرورة عزل النصِّ عمَّا يؤثر فيه، وعدَّ الأعمال الأدبية أشياءً مجردة، بعيدة عن تفاعلها مع الزمان والثقافة، والتظر إليها، بوصفها كائنات قائمة بذاتها، لا صلة لها بشيء آخر⁽¹³⁾.

ويعتبر مصطلح "الأدبية Littérarité" متعدّد المفهومات، فقد كان يعرف قبلاً بالشعرية؛ وتعني مجموعة المبادئ الجمالية التي تقود الكاتب في عمله الأدبي، إلى أن جاء الشكلانيون الروس وأطلقوا

عليها تسمية الأدبية، وهي ترمي من خلال خصوصية موضوعها (علم الأدب) إلى التبايز عن الممارسات التطبيقية القائمة في اللسانيات التي تختص باللغة، وعلى البلاغة التي تعالج مختلف أنواع الخطاب⁽¹⁴⁾.

فقوة الدفع الأولى لهذه الحركة الشكلية تمثلت في الأعلام البارزة التي أسهمت في تشكيل هذه المدرسة، ويأتي على رأسها اللساني الكبير "رومان جاكبسون Roman Jakobson" الذي وأكب العلم الألسني زهاء نصف قرن، وأسهم ليس فقط في إثراء هذا العلم بالمبادئ والمفاهيم والأفكار التحليلية؛ بل أطلق العنان للمنهجية الألسنية ولتقنية التحليل فيها لدخول ميادين شتى من المعرفة البشرية⁽¹⁵⁾، فضلا عن أنه يبين منهج المدرسة وربط بين اللسانيات والشعرية باعتبار أن كليهما يبحث في الوظيفة الجمالية للغة.

تلح الشكلانية الروسية على مفهوم الاستقلالية Autonomie، خاصة في الأمرين التاليين؛ الاستقلالية في علم الأدب (بوصفه مقارنة علمية)، وفي الأثر الأدبي (بوصفه مادة بحث نوعي). وبهذا تنقطع الشكلانية عن المفهومات السائدة في الحلقات التقليدية والأكاديمية التي تعرض العمل الفني على مقاييس السيرة الذاتية والاجتماعية والفلسفية والتفيسية⁽¹⁶⁾.

سبق وأن ذكرنا أن للشكلانيين أثراً في إرساء نظرية أدب تضع العمل الأدبي موضع اهتمامها الرئيس، رافضة المقاربات التفيسية والاجتماعية التي كانت تؤلف جوهر الموروث التقدي من قبل⁽¹⁷⁾. وقد ركز الشكلانيون اهتمامهم في مجالين بارزين هما: دراسة الصفة التي تجعل من الأثر عملاً أدبياً، وهي ما أطلق عليها "جاكبسون Jakobson" "الأدبية"، ومفهوم الشكل؛ إذ تصدوا بجرأة، لمبدأ ثنائية الشكل والمضمون في الأثر الأدبي، وهو ما كانت النظريات التقديدية القديمة تذهب إليه، وأكّدوا أن النص الأدبي، يختلف عن غيره، ببروز شكله. وتمثلت جهودهم في مجال الأبحاث النظرية، والدراسات التطبيقية، وأخيراً، الكتابات الإبداعية، كما توج ذلك عند "شلوفسكي Chklovski" و"تينيانوف Tinianov"⁽¹⁸⁾.

من هذا المنطلق حصر الشكلانيون الروس اهتمامهم في نطاق النص، وسكنوا عن كل ما يمكن أن يتصل به من عوامل نفسية أو اجتماعية، قد يدلّ عليها ذلك النص، وقد تكون تضافرت فكانت سببا في وجوده. وحتّتهم في ذلك أن الدراسات التي تتناول الأثر الأدبي من الوجهة التفيسية أو

الاجتماعية أو غيرها تخرج عن نطاق علم صناعة الأدب، أو الإنشائية، لتدخل في نطاق علم النفس أو علم الاجتماع أو غيرها⁽¹⁹⁾.

وَمَا تجدر الإشارة إليه ههنا أَنَّ المسلمات التي انطلق منها الشكلايون الروس قادتهم للتطير إلى النص بذاته والارتباط بمادته، والكشف عن وسائله (الإيقاع، الصور البلاغية...). مع ذلك يجدر تمييز هذه التحليلات التي تتمثل في الممارسة الإجرائية للشكلايين الروس عن المشروع النظري الذي عملوا من أجله وقدم غالبا بصيغة الشعارات. وإذا كانت الدراسات التقنية للأدب تشكل كسبا حقيقيا في هذا المجال -وقد استطعنا مؤخرا التأكد من أننا لم نتوصل إلى أفضل منها حتى الآن- إلا أنها رغم ذلك لا ترتقي إلى مستوى المبادئ المنهجية⁽²⁰⁾.

ويظل هدفهم -الشكلايون الروس- هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للنصوص ودراسة علاقتها وراتبها والعناصر المهيمنة على غيرها وكيفية تولدها ثم - وهذا أهم شيء - كيفية أدائها لوظائفها الجمالية، فقد أطلق البنيويون شعار "موت المؤلف" لكي يضعوا حدا للتيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب؛ وبدأ تركيزهم على النص ذاته بغض النظر عن كاتبه، أيّا كان هذا الكاتب والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتصلة به⁽²¹⁾.

فالتحليل البنيوي لا يتساءل أبدا عن فاعل النص، إنه يتناول - التحليل - الملفوظات وليس التلقظ⁽²²⁾، وقد «برهن التحليل النفسي أنه ليس لدى فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدمه للعناصر (الآثار الفنية، الملفوظات): ما يمكن أن يقدمه محصور في ميادين النصوص والتلفظات؛ لأنّ فاعل الكتابة أو القراءة مقيد بترتيبية كلامه - علم مراتب الكلام -»⁽²³⁾.

والشيء نفسه كان قد ذهب إليه "سوسير Saussure" حين قام بمعارضة اللغة بالكلام؛ أي بإقصاء فاعل الخطاب ببساطة. إنّ "الأنا" (Le je) هو الذي يتكلم، لكن ما يقوله ليس ولا ينبغي أن يكون ذاتيا. إنّ "الأنا" هو مكان العلامات، وهو بالأخص مكان المؤلفين وهو مكان معزول؛ بل بالعكس هو مكان في حالة وكلّ حالة هي حالة اجتماعية، فإذا كان اللسان نظريا هو الذي يجعل من الكلام شيئا مفهوما، فإنّ النوع الأدبي بقواعده هو الذي يجعل من النص وحدة عرفية داخل الممارسة الاجتماعية. وقد يكون من الصعب نكران أنّ قواعد النوع الأدبي قابلة لأن تندمج في مجموعات واسعة (النسق الأدبي لعصر ما، إنشائية عامة)⁽²⁴⁾.

فهاهو "بارت Barthes" يعلن "موت المؤلف"، ويعادي كل دعوة تنادي بدراسة شخصية صاحب النص للوصول إلى الدلالة فيه، قد يوافق المرء على أن دعوة "موت المؤلف" كانت بمثابة رد فعل على مغالاة أنصار الاتجاه السياقي الذي أعطى المركزية في دراسة النصوص لكل ما يتعلق بالكتاب. لكن هذا لا يعني إلغاء صوته تماما والتغاضي عن إنجازهِ⁽²⁵⁾.

و"بارت Barthes" يؤكد هنا ما كانت عليه الذات في المذاهب السابقة كالفلسفة المثالية وغيرها، لذا فهو يرفض كل الآراء التي تعلي من شأن صاحب النص؛ لأن الكاتب حسبه لا يعدو أن يكون مجرد، ناسخ "سام ومضحك معا" خال من المشاعر والانطباعات، مخلوق أجوف إلا من هذا "القاموس الهائل الذي يغرف منه كتابه" لا تتوقف "وتتمثل كل قوته في مزج كتاباته هنا ومعارضتها هناك دون الإبقاء على أي منها"⁽²⁶⁾.

وبذلك يكون النص مغلقا أي لا يهتم بما دون وما فوق النص، ولأبنيته الدلالية، فهو صالح لكل التجارب لأنه بنية قائمة محدّدة فتخرج من ميدان بحثها عنصر المتكلم أو الكاتب (Sujet)، وعنصر الظرف أو السياق الذي وجد فيه النص، ولكن ليس من شك أن هذين العنصرين يسمحان بفهم دلالة النص⁽²⁷⁾.

فقد كانت نظرتهم إلى الأعمال الأدبية باعتبارها نظما رمزية دلالية تقوم في الدرجة الأولى على مجموعة من العلاقات المتبادلة بين البنى الجزئية، وعلى العناصر المهيمنة على غيرها للعمل الأدبي. وهذا هو الأهم في نهاية المدار، الوظائف التي تحدّد استراتيجيته والتي يمكن أن يقاس بها مدى كفاءته أو عجزه مع الأخذ في الاعتبار أن البنيوية مالت بشكل واضح وصريح إلى إحلال مفهوم جديد للقيمة يختلف عن المفهوم القديم⁽²⁸⁾.

إنّ العمل الأدبي في نظرية جمالية الأدب، كما تطوّرت على يد "ميكاروفسكي Mukarovsky" وأتباعه « لا ينظر إليه بوصفه وحدة، وإنّا بوصفه مورّعا على حالتين: هناك النص - الشيء - والذي يمثل العمل الأدبي بواسطة القارئ. إنّ القارئ في وفائه لمعايير (أو سنن) عصره يمنح لهذا العمل معنى. وإذا أضفنا إلى ذلك وجود من يضع هذا الانشطار النظري للعمل الأدبي في تماثل مع ثنائية اللسان/الكلام، فإننا سندرك مباشرة صعوبة الإبقاء على الرؤية التبسيطية التي تجعل من النوع مرادفا للسان، ومن النص مرادفا للكلام»⁽²⁹⁾.

فغايتهم الوحيدة - الشكلايون الروس - هي الوعي التطري والتاريخي بالوقائع التي تخص الفن الأدبي كما هو عليه. ويثبت "إيخنباوم Eikhenbaum" المآخذ التي سجلت على الشكلايين وأهمها الغموض الذي يلف آراءهم، وتجاهلهم لعلم الجمال وعلم النفس وعلم الاجتماع. ويرجع ذلك إلى أن دراساتهم انصبّت بشكل أساسي على تحليل النص⁽³⁰⁾.

إنّ ما هو جدير بأن يشار إليه، هو أنّ الاتجاه الوظيفي الحركي هو الذي قاد «الشكلايين الروس المتأخرين إلى إقامة صلة بين الأعمال الأدبية والسياق الاجتماعي والثقافي، ويؤدي مفهوم السلسلة Série هنا دوراً رئيسياً؛ إذ تعدّ المواد الأدبية عناصر متعدّدة المعاني Polyvalents فتظهر في السلسلة الأدبية مثلاً تظهر في السلاسل غير الأدبية (الاجتماعية، السياسية ...)، وعندما تتغيّر وظيفة كلمة أو تعبير في هذه السلاسل لا يتأخر صداها عن الظهور ضمن السلسلة الأدبية»⁽³¹⁾.

إذا، و تأسيساً على ما تقدّم، يمكن القول إنّ العمل الأدبي-كما اعتبر الشكلايون الروس- نظام مغلق يمكن مقابلته بالنسق، ومن ثمّ يكون الانغلاق هو النظر إلى العمل الأدبي كنسق مفتوح على ذاته ويتحاور مع سياقاته في إطاره الجمالي بالإضافة إلى رفضهم «للقيمة الإحالية للغة الشعرية، فاللغة الشعرية في رأيهم ليس لها قيمة مرجعية تتمثل في الدلالة على شيء أو أشياء خارجية، الدلالة كلّها داخل نسق القصيدة والبيت»⁽³²⁾.

إنّ الذي لا يمكن نكرانه، هو أنّ الشكلائية الروسية جاءت كتطور طبيعي لنتاج فكري، وشكّلت منعطفاً حاسماً في المسار التاريخي للدراسات اللغوية والأدبية في تلك الحقبة الزمنية، وأسهمت إسهاماً فعالاً في دراسة النصّ ووصف العلاقات القائمة بين عناصره. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الشكلائية الروسية قد لاقت الرفض والتقد؛ لأنّها في رأي الباحثين والدارسين لم تقدّم التفسير الكافي للأعمال الأدبية، ولم توضّح الجانب اللغوي والدلالي للنصوص. وكان هذا الشرح الذي تعرّضت إليه بمثابة التبشير بميلاد دراسات أخرى.

2- مدرسة براغ اللغوية:

تعود الجذور الأولى لتأسيس مدرسة براغ الوظيفية إلى العالم اللساني التشيكي "فيلام ماثيسوس Vilem Mathesius" الذي كانت من دعواته الأولى دراسة اللغة بطريقة جديدة، تختلف عن الدراسة التاريخية، ومعنى ذلك أنّه من المؤسسين لعلم اللغة الوصفي أو اللسانيات كما تعرف اليوم

في جلّ الكتابات، وينقسم ممثلو المدرسة الوظيفية إلى قسمين: التشيكيون فبالإضافة إلى "ماتيسوس Mathesius" نجد "ب.ترنكا B.Tranka" و"ب.هافرانك B.Havranek" و"ج.فاشك J.Vachek" واللّسانيون الروس: "تروبetskoy Troubetzkoy"، و"ت.موكاروفسكي T.Mukarovsky" ويضاف إليهم "رومان جاكبسون Roman Jakobson" على الرغم من أنّه من أصل بولندي، وظهرت المدرسة الوظيفية في 1926⁽³³⁾؛ أي « في أواخر العشرينات من القرن العشرين »⁽³⁴⁾.

وجاء في إعلان براغ أنّه يسمح لنا بممارسة عملية القول في كليتها وشمولها، ويكشف لنا عن اللّغة لا باعتبارها نظاماً ثابتاً مفروغاً منه وإنما لما فيها من طاقة خلاقية⁽³⁵⁾ ويعدّ «ثورة في علم الأصوات الحديث، واتّضحت الفروق اللّغوية بين العناصر الدّالة وغير الدّالة»⁽³⁶⁾.

اهتم أعضاء حلقة براغ عموماً « بدراسة اللّغة الشعريّة فتوصلوا إلى وجود نمطين، اللّغة القياسية المعيارية واللّغة الاستشراعية، وعنوا بمشكلة المنهج الملائم للدراسة اللّغوية، وتبنوا محور التزامن الذي اكتشفه "دي سوسير De Saussure" ولم يتجاهلوا أهميّة الدراسة التعاقبية للّغة فهي مفيدة لكشف قوانين البنية في الأنظمة اللّسانية، كما اهتموا بالأصوات في الشعر ونظام المفردات الشعريّة، فقادهم هذا إلى تحديد نظرية في معنى الشعر، ونظرية في علاقات التتابع، ونظرية في نظام أشكال المفردات أو مجاميع الأشكال فضلاً عن عنايتهم القصوى بالبنية التحويلية»⁽³⁷⁾.

وتتألّف النصوص الرّئيسية لمدرسة براغ اللّسانية من البيان المعروف باسم أطروحات "جاكبسون Jakobson" - "تينيانوف Tenianov" 1928؛ أي تاريخ انعقاد أوّل مؤتمر دولي للّسانيات -بلاهاي- ومن أهم ما ورد فيه هذه الأطروحات -في إطار المشروع البنيوي- ما قاله "موكاروفسكي Mukarovsky" «من وجوب خضوع العمل الفنّي للتحليل من مبدأ كونه محصّلة قوتين: الحركة الداخليّة للبنية والتدخّل الخارجي. إنّ أولى المهمّات المطلوبة هنا هي تعيين مفهوم البنية Structure وتحديدّها. ويجهد "موكاروفسكي Mukarovsky" لإثبات أنّ الطّبيعة المتميّزة لهذه الكلّيّة الناتجة عن بنية جمالية، وليست عن صيغة أو إنشاء مخطط أو كلّيّة جمع كمي»⁽³⁸⁾.

تفترض - مدرسة براغ- أنّ «الدّالة لا تحدث بحسب مادة الدّال (هذا التّباين يؤسّس علم العلامات)، ولكن أيضاً بحسب تعدّد الجوانب التي تؤلّف كيان اللفظ - فلفوظه ثابت- ويتشكّل دائماً

تحت أنظار الآخر والاستماع إلى حديثه من بعد، يمكن له أن يكون ممارسة؛ وذلك يعني أنّ الدلالة لا تحدث في مستوى تجريد (اللغة) كما قال بذلك "سوسير Saussure"، ولكن بترخيص من عملية تستثمر في الوقت نفسه، وبحركة واحدة جدل الفاعل وجدل الآخر، والسيّاق الاجتماعي⁽³⁹⁾.

و بناء على ما تمّ ذكره، فإنّ مدرسة براغ اللغوية استطاعت أن ترسي دعائمها و تصوّراتها المعرفية وأفكارها اللغوية بفضل المفاهيم التي جاء بها "دي سوسير De Saussure".

3-مدرسة بلومفيلد التوزيعية:

لقد كان ظهور "محاضرات" "دي سوسير De Saussure" في علم اللغة عام 1916 فاتحة عهد جديد في مضمار "العلوم اللسانية" بصفة خاصّة، و"العلوم الإنسانية" بصفة عامّة⁽⁴⁰⁾، فجميع النظريات اللغوية الحديثة لمدينة للعالم السويسري الكبير بالكثير من مبادئها الأساسية، خصوصاً مبدأ ثنائية العلامة اللفظية، وأولوية التسق (أو النظام) على العناصر، ومبدأ التمييز بين اللغة والكلام ومبدأ التفرقة بين "السانكروني" و"الدياكروني"، ولعلّ هذا ما حدا بالعالم اللغوي الأمريكي الشهير "ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield"⁽⁴¹⁾ إلى القول «بأنّ دي سوسير De Saussure كان أوّل من زوّد علم اللغة البشرية بأسس نظرية سليمة»⁽⁴²⁾.

ولابد لنا من أن نلاحظ - في هذا الصدد- أنّ الأشكال اللغوية التي جعل منها "ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield" موضوعاً للوصف التوزيعي، هي في الحقيقة "علامات لغوية" أريد لها أن تكون "ذات وحمين"، ولكن لما كان "بلومفيلد Bloomfield" قد عجز عن وصف عملية "الدلالة" نفسها فقد بقي الوصف التوزيعي محصوراً في دائرة "الصورة الصوتية"، أو في مجال الدال Signifiant المحض، وبالتالي فقد ظلّت الوحدات- عند بلومفيلد- مجرّد وحدات ذات وجه واحد⁽⁴³⁾.

لقد كان "بلومفيلد Bloomfield" ومساعدوه يطوّرون علماً للغة وصفيًا وتصنيفيًا، ومركّزاً خاصّة على أساليب تقسيمية (Méthodes distributionnelles) ومحدّدين بنيوية النظام لتزامن السويسرية أوجد هذا أشكالاً جديدة في دراسته علم الأصوات الوظيفي La phonologie، وكانت المقابلات (أو الانقسامات الثنائية في داخل فئة) تخصّ إلى الآن العلاقات بين الدلائل والمدلولات في

حين أنه شيد مع "تروبتسكوي Troubetsky" نظام مقابلات لفظية يحدد اللفظ Phonème تبعاً لها⁽⁴⁴⁾.

فالتظام اللغوي الذي «هو بطبيعة الحال نظام السلوك الجماعي و الفردي على حد تعبير العالم اللساني الأمريكي "بلومفيلد Bloomfield" سلوك منظم متعارف عليه بين كل أعضاء الجماعة المتكلمة يعبرون عنه بسلوك آخر لغوي منظم بوحدات لغوية فائقة التنسيق»⁽⁴⁵⁾.

واستطاع "بلومفيلد Bloomfield" أن يجعل الدراسة اللسانية دراسة علمية ومستقلة في الوقت نفسه. ويبدو لكثير من علماء اللسانيات المعاصرين أنه كان حجر الأساس في بناء النظرية البنوية في علم اللسانيات البشري كما يتجلى ذلك في كتاب "اللغة"، فقد كان مفهوم "بلومفيلد Bloomfield" لعلمية الدراسة اللغوية مفهوماً تجريبياً مضبوطاً مبنياً على أساس استقرائي (Inductive) في جمع المواد اللغوية ووصفها وصفاً دقيقاً.

ويرى مازن الوعر أن الخطأ المنهجي الوحيد الذي وقع فيه "بلومفيلد Bloomfield" في دراسته للغة هو اعتماده على علم النفس التجريبي السلوكي في الفترة التي كان يكتب فيها كتابه "اللغة" كان هناك منهج تجريبي جديد في علم النفس، ذلك المنهج الذي عرف بالمنهج السلوكي (Behaviorisme)⁽⁴⁶⁾.

اعتبر "بلومفيلد Bloomfield" الدراسات الدلالية والمعنوية أضعف مستوى في الدراسات اللغوية، وفي رأيه سيبقى كذلك إلى أن تتقدم الدراسات والبحوث الإنسانية مستفيدة من كل العلوم. وهكذا فقد حدد الدلالة اللغوية من خلال علوم أخرى ليست لسانية، ولكن هذا الاعتماد على علوم أخرى لحل المشكلة الدلالية لا يمنع علم اللسانيات على حدّ رأيه، من أن يكون علماً قائماً برأسه.

فبعد أن «استوحى "بلومفيلد Bloomfield" المعطيات النظرية لعلم النفس السلوكي، التي كانت سائدة آنذاك، في كل مجالات العطاء الفكري الإنساني، أسقطها على المنهج الوصفي اللساني، مما أدى إلى ظهور نظرية لسانية، متكاملة، قائمة على أساس مفهوم الوظيفة (La fonction)، بيد أن مصطلح الوظيفة في أول أمره استخدم جزافاً؛ لأنه أفرغ من محتواه العلمي الذي عرف به؛ إذ كان المقصود بنعت عنصر لساني بأنه وظيفي هو الإشارة إلى موقعه بالنسبة إلى العناصر المحيطة به، أو بالأحرى توزيعه في السياق الكلامي»⁽⁴⁷⁾.

و«الدراسة اللسانية في نظر التوزيعيين، ليست البحث عن موجودات مفترضة وراء الأشكال اللغوية تعدّ أسباباً لها ولا تنظيمها، إنّ كلّ شيء في الوصف اللساني يجري على السطح المنطوق، أو المكتوب، وكلّ محاولة تسعى إلى البحث عن أشياء خلف السطح هي وهم منهجي عقيم»⁽⁴⁸⁾.

ومعنى ذلك أنّ "بلومفيلد Bloomfield" وأتباعه أصرّوا على استبعاد المعنى من التحليل اللغوي، مؤكّدين على أنّ الدراسة الدلالية لا يمكن أن تخضع لأيّ تحليل علمي دقيق. ولكن لا يمكن إقصاء المعنى أثناء التحليل؛ لأنّ اللسان يتبدى في ثلاثة مظاهر هي: الأصوات، التراكيب والدلالات.

وتعدّ فكرتا التوزيع/التصنيف (Distribution)، والاستبدال/المعاقبة (Substitution)

هما أساس تحليل الجملة لدى "بلومفيلد Bloomfield". ويرجع أصلها إلى فكرة "دي سوسير De Saussure" حول العلاقات بين أبنية الجمل والأبنية الصرفية، ويبدأ التحليل بالتجزئة حيث تقسم الجمل التي يمكن ورودها في لغة ما – على المستوى التحويلي- إلى مجموعة من الوحدات المتميزة وفقاً للسياق الذي ترد فيه كلّ منها، يطلق عليها وحدات التقسيم الكلامية:

(الأسماء/الأفعال/الصفات/الحروف...); إذ يلزم ورودها في الجملة حين تتوافر شروط وجودها من جهة السياق. وتتمثل العلاقات الأفقية في تلك العلاقات القائمة بين الوحدات التحويلية، والعلاقات الرأسية في تعاقب أبنية أشكال مختلفة داخل وحدة نحوية بعينها: (قائمة الأفعال وقائمة الصفات وقائمة الأسماء)⁽⁴⁹⁾.

أما «الدلالات فطاقات غير محدودة؛ إذ ينظر إلى الكلمات من منظورات متغايرة، وينتقل في تحديد المعنى من مستوى إلى آخر، وتقسم الدلالات إلى مباشرة وغير مباشرة»⁽⁵⁰⁾.

و تجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنّ مصطلح مؤلف (Constituant) يطلق في اللسانيات التوزيعية على كلّ مورفيم Morphème، أو ركن كلامي الذي يمكن له أن يدرج ضمن بناء أكبر. وتنقسم مؤلفات الكلام إلى قسمين:

أ- المؤلفات المباشرة (Les constituants immédiats): وهي مكونات الجملة القابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر.

ب- المؤلفات النهائية (Les constituants terminaux): وهي المؤلفات غير القابلة للتحليل إلى وحدات أصغر⁽⁵¹⁾.

وليكن – مثلاً – النموذج التالي: بيت شعري من قصيدة "الحزن" لـ"صلاح عبد الصبور":



يا صاحبي إني حزين.

تتكون الجملة من مؤلفين مباشرين هما:

/ يا صاحبي / / إني حزين /

2 1

و المؤلفان (1) و (2) نستطيع تحليلهما إلى مؤلفين أيضا:

/ يا / / صاحبي /

3 4

/ إني / / حزين /

5 6

و المؤلف (4) نستطيع تحليله إلى مؤلفين :

/ صاحب / / ي /

7 8

و المؤلف (5) نستطيع تحليله إلى مؤلفين أيضا :

/ إن / / ي /

9 10

وعليه فإن هذه الجملة تتكون من عشر مؤلفات:

1- المؤلفات (1)، (2)، (4)، (5) مؤلفات مباشرة؛ أي أنها قابلة للتحليل إلى مؤلفات أصغر.

2- المؤلفات (3)، (6)، (7)، (8)، (9)، (10) مؤلفات نهائية؛ أي غير قابلة للتحليل إلى مؤلفات

أصغر منها.

وللتوضيح أكثر نأخذ المثال الثاني، الجملة التالية:

(1) سافر المدير المسؤول.

نلاحظ أن هذه الجملة تنقسم إلى مؤلفين مباشرين:

(2) سافر.

(3) المدير المسؤول.

والمؤلف (3) ينقسم، بدوره، إلى مؤلفين مباشرين:

(4) المدير.

(5) المسؤول.

وينقسم كل من (4) و(5) إلى مؤلفين منفصلين:

(6) آل + مدير.

(7) آل + مسؤول.

ولا يزال مفهوم المؤلفات المباشرة مستعملاً في أغلبية النظريات اللسانية⁽⁵²⁾.

إنّ التحليل البنيوي الذي كان يأخذ به "بلومفيلد Bloomfield" وأتباعه والمعروف بتحليل المكونات المباشرة فإنه غير قادر على إعطاء معنى جلي لا لبس فيه ولا غموض للجملة عربية مثل "زيد وخالد تقابلا". فهذه الجملة تحتمل تفسيراً بنيوياً واحداً طبقاً لنظرية "بلومفيلد Bloomfield" ولكنها تحتمل تفسيرات ثلاثة طبقاً لنظرية "تشومسكي Chomsky":

1. زيد قابل خالداً.

2. خالد قابل زيدا.

3. زيد وخالد تقابلا.

فالفكرة الأساسية هنا هي أنّ الالتباس أو الغموض الدلالي وعدم التأكد منه هو مصدر للتساؤل والحيرة والجدل⁽⁵³⁾.

و يعتقد "بلومفيلد Bloomfield" أنّ تحليل المعنى هو نقطة الضعف في الدراسات اللغوية، ويذكر أنّه سيبقى كذلك إلى أن تتقدم المعرفة الإنسانية أشواطاً بعيدة تفوق ما هي عليها الآن وإذا كان موقفه مشبطاً للعزائم فيما يتعلق بعلم الدلالة، فإنه لم يدع أبداً أنّه من الممكن دراسة القواعد التحويلية والصوتية للغة في معزل عن معاني كلماتها ودلالة جملها، إلّا أنّ أتباع "بلومفيلد Bloomfield" ولا سيما "زيلخ هاريس Zellig Harris"، غالوا أكثر منه في تجاهل الجوانب الدلالية⁽⁵⁴⁾.

ومن خلال هذه الأعمال والاجتهادات اللغوية التي ذكرناها – وباقتضاب شديد- يتجلى لنا أنّ « اللسانيات تسعى إلى وضع نظرية لدراسة النص المنجز بعد إنهائه وغلق باب تراكيبه باستعمال منهج تحليلي(شكلي) يقوم على شكل النص (من صورته الخارجية)، وبهذا تطرح البنيوية أولاً مبدأ الحضور

والشهادة L'immanence يعني الوجود في النَّص. فالعالم اللساني يقف عند حدود العبارة المنجزة بالفعل (في مدونة) محاولا تفسير البنية يعني هندسة العناصر الموجودة داخل النَّص وقيامها بذاتها؛ فمدرسة براغ وعلى رأسها "جاكوبسون Jakobson" و"بنفنيست Benveniste" تهتم بدراسة علاقة المتكلم بكلامه يعني وظيفة الكلام وكيفية التعبير عنها⁽⁵⁵⁾.

أما أتباع "دي سوسير De Saussure" (كشارل بالي Bally Charles) فيقترحون لسانيات « تنطلق من اللَّفْظ (يعني القول) وهي ذات أهمية، وترفض اللسانيات التي تنظر إلى اللُّغة وحدها. وعكسها نجد "بلومفيلد Bloomfield" الذي يرى أنه يستحيل تحديد المعنى وعلاقة صاحب النَّص بالكون الواقعي، مبينا أنَّ هناك عوامل كثيرة تتدخل في نسج العبارة كما يعجز على حصرها ويستحيل ضبط خصوصيتها ووصف العلامات البارزة التي لها دور في تأليف المقال. وهناك خاصية أخرى هامة للبنية هي التمييز بين معاهد الكلام في مختلف وجوها وبين إنجازها أقوالا ويترتب عن هذا أننا نستخلص من النصوص المختلفة التاجمة عن ألفاظ القول نظاما للغة⁽⁵⁶⁾.

إنَّ ما يجعلنا نركّز في هذا المقام على "بلومفيلد Bloomfield" هو تبيان وجهة نظره المتعلقة بإقصاء المعنى من التحليل اللغوي، والتي تعكس تصوّر المدرسة ككل، فقد اشتدّ حرصه وغيره من المؤيدين في هذه المدرسة على استبعاد الدلالة من الدراسات والتحليلات اللسانية. ولا بدّ أن نشير إلى أنَّ المعنى ضروري لتنظيم البناء الداخلي للنَّص، فهو يهدف أساسا إلى الكشف عن المحتويات الدلالية للكلمات؛ إذ لكلّ لفظ مدلول يختلف عن مدلول لفظ آخر، وهو الذي يوصل القارئ حتما إلى فهم صحيح لمحتوى النَّص.

ومن الضروري ههنا أن نشير إلى أنَّ هذه الأفكار التي تبناها "بلومفيلد Bloomfield"، قد تعرضت للتقد ورفض من قبل اللساني الأمريكي "نوام تشومسكي N.chomsky".
ومما لا شك فيه، أنَّ هذا الاعتراض قد شكّل من جهة منعطفا حاسما في المسار التاريخي للسانيات من خلال تطوّر الدراسات اللغوية وازدهارها وتعدّد أشكالها. ومن جهة أخرى فإنّ هذا التقد قد مثل أحد الأسس المنهجية الهامة التي انطلق منها درسه اللساني الأمريكي.

تنسب النظرية التوليدية التحويلية إلى اللغوي الأمريكي "أفرايم نوايم تشومسكي Avram Noam Chomsky" (57). وأصدر كتابه الأول "التركيب التحويلية" "Syntactic structure" عام 1957 والذي بدأ به الثورة على علم اللغة الوصفي. ويرتكز هذا الكتاب أساساً على توليد الجملة وتحويلها فقط ولم يكن يتناول علم الأصوات بصورة منفردة، إلا في كتابه "النظام الصوتي للغة الإنجليزية" "The Sound Pattern of English" وكان قد شاركه في تأليف هذا الكتاب العالم المعروف "موريس هالي Morris Halle" (58).

تأثر "تشومسكي Chomsky" بنظرية "جاكوبسون Jakobson" الذي يرى أنّ الفونيمات هي ملامح مميزة. وإذا أمعنا النظر في عنوان الكتاب "النظام الصوتي للغة الإنجليزية" لوجدنا أنّه لا يقتصر على قواعد اللغة الإنجليزية؛ بل كان يريد لها قواعد شمولية أو كلية.

ويرى "تشومسكي Chomsky" أنّ علم الفونولوجي التوليدي يتناول الفونيمات كوحدات مميزة في المعنى. والنظرية التوليدية التحويلية لا تتناول هي الأخرى طرق تدريس الأصوات اللغوية (59). وتعدّ اللسانيات التوليدية التحويلية، النظرية الأكثر استعمالاً، ويتجلى ذلك من خلال تأثيرها القوي في جلّ ميادين المعرفة. كما أصبحت التيارات اللسانية تقيس مضامينها وما جاءت به بالقياس إلى التحو التوليدي، وما ينتج من المفاهيم، مفاهيم صورية وأدوات أكثر دقة وفعالية في تفسير الظاهرة اللغوية باعتبارها ملكة بشرية عامة. وقد نالت هذه النظرية اهتماماً بالغاً بفضل تماسكها الداخلي، وقيمتها التفسيرية، وقوة جهازها المفاهيمي.

لقد اعتمد "تشومسكي Chomsky" العقلانية كأساس لنظريته، المتمثلة في مجال الفلسفة العقلانية متجاوزاً كثيراً من الطروحات والمبادئ الفلسفية التي تنطلق منها الدراسات البنيوية، ومنقداً أيضاً تصوّرات علم النفس السلوكي في مجال اللغة واكتسابها وتعلّم قواعدها.

وتعتبر اللغة، حسب التصوّر العقلائي، تنظيمًا عقلياً فريداً من نوعه، تستمدّ حقيقتها من حيث إنّها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحرّ. وبالتالي فهي ليست مجرد عادات كلامية تقوم على أساس الاستجابة للمثير. ومن هذا المنطلق العقلائي وجّه "تشومسكي Chomsky" انتقاداته العنيفة للتصوّر السلوكي، الذي تنبأه كثيرٌ من اللغويين التوزيعيين أمثال "بلومفيلد Bloomfield" (60).

إنّ "تشومسكي Chomsky" كان واعياً تام الوعى بالأسس الاستمولوجية التي بنى عليها نظريته الجديدة. الأمر الذي مكّنه من تجاوز التصوّر البنيوي في معالجة الظواهر اللغوية؛ أي أنّ "تشومسكي Chomsky" نقل اللسانيات من المرحلة الوصفية إلى المرحلة التفسيرية بمعنى أنّه قفز باللسانيات من مرحلة اعتماد المنهجية التصنيفية إلى مرحلة التأكيد على المنهجية النظرية التي تهدف إلى وضع نماذج فرضية تمكن من وصف المعطيات وتفسيرها والتكهّن والتنبؤ بوقوع ظواهر أخرى⁽⁶¹⁾.
فهدف المدرسة التوليدية التحويلية الأساسي هو العمل على تكوين نظرية لغوية شاملة Universal تنتظم عموم اللغات في العالم. والتمييز بين ما يخص لغة معينة وبين ما يخص اللغات بصورة عامة⁽⁶²⁾.

وقد قسّم "تشومسكي Chomsky" الشمولية اللغوية إلى قسمين:
أ- كلية منطقية أو شاملة منطقية Formal universal وهي عبارة عن مبادئ عامة تحدّد صورة القواعد وشكلها وطريقة عملها من خلال النظم التحويلية لعدد لغات معينة.
ب- شاملة ثابتة Substantive universal وهي عبارة عن شاملة تحدّد نظماً من العناصر التي تتصوّر أو تشكل في قواعد معينة. ويرى "تشومسكي Chomsky" مثلاً أنّ النظرية التوليدية التحويلية تقترح شاملة منطقية باعتبار أنواع القواعد في النحو، على حين أنّها تعتبر طبقاً للنظرية اللغوية العامة عناصر كلية ثابتة⁽⁶³⁾.

يستعمل "تشومسكي Chomsky" مصطلح النحو بمعنيين، ويتعلّق الأمر بالمعنى الخاص والمعنى العام، فإذا كان هذا الأخير هو مجموع القواعد اللغوية كما توجد في ذهن المتكلّم، فإنّ المعنى الخاص للنحو، هو النظرية التي يسعى عالم اللسان إلى بنائها وإعدادها، بحيث تكون هذه النظرية قادرة على وصف ومعالجة القواعد التي يتوقّر عليها المتكلّم⁽⁶⁴⁾.

ومن هنا فإنّ الهدف الرئيسي للنحو كما يرسمه "تشومسكي Chomsky"، هو بناء نموذج شكلي يكون بإمكانه اعتبار القواعد التي تجعل إنتاج الجمل ممكناً في لغة معينة، إنّ هدف هذا النموذج الشكلي هو بناء نحو يمكن اعتباره آلية منتجة للجمل في اللغة. وتتسم اللسانيات التوليدية، في مرحلتها الأولى، بكونها تعتمد التحليل بواسطة المكونات المباشرة المرتكزة على مفاهيم التوزيع والاستبدال، وهذا الاتجاه التوزيعي هو الذي كان سائداً في أمريكا حيث يعتمد رواده على تمثيلات



مباينة لتجسيد تقسيمات وتصنيفات الجمل⁽⁶⁵⁾.

و لا بدّ أن نشير ههنا إلى أنّ النظرية الألسنية الحديثة تحلّل اللّغة من زاوية أنّها مجموعة جمل، كلّ جملة منها تحتوي على شكل صوتي وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن بالشّكل الصّوتي. وقواعد الجملة هي التي تفصل التّوافق بين الصّوت والدّلالة⁽⁶⁶⁾.

من هذا المنطلق، يظهر أنّ تنظيم القواعد هو الذي يفصل التّوافق بين الصّوت و الدّلالة في الجملة و هو ما نسمّيه بقواعد الجملة. فالقواعد الألسنية التوليدية والتحويلية تعتبر أنّ الجملة هي الوحدة الأساسية للبحث الألسني. فتنطلق هذه القواعد من قاعدة بناء الجملة، وتلتزم بوضع وصف بنياني يقدّم كافة المعلومات عن الجملة وعناصرها المؤلفة، عبر قاعدة بناء الجملة بالذات. فيكون الوصف البنياني هذا بمثابة تحليل الجملة⁽⁶⁷⁾.

وتقوم القواعد التوليدية التحويلية (Générative transformationnel grammaire) على اعتبار الجملة وحدة لغوية أساسية، وعلى تمييز البنية الظاهرية للجملة (Structure de surface) عن بنيتها العميقة (Structure de profonde)، وقد ميّز "تشومسكي Chomsky" بين نوعين من تغيير ترتيب الكلمات في الجملة، فال تغيير الأوّل لا يؤدي إلى تبديل النظام الأساسي القواعدي للجملة ويحمل فقط طابعاً أسلوبياً سّمّاه "التقديم أو التأخير الأسلوب Inversion de stylistique"، أمّا التغيير الثاني فيؤدي إلى تبديل النظام الأساسي القواعدي للجملة وتنجم عنه تحولات قواعدية سّمّاه "التقديم أو التأخير Inversion de Transformation"⁽⁶⁸⁾. ويمكن أن ننظر إلى المستوى التحويلي للجملة على أساس أنّه شيء مستقل كلياً أو جزئياً عن النظام الذي تظهر فيه الكلمات متعاقبة ترتبط إحداها بالأخرى⁽⁶⁹⁾.

فقد أكّد "تشومسكي Chomsky" على وجود علاقة حصرية بين المحتوى الدلالي والبنية العميقة للجملة، وبأنّ البنى التحويلية للغات الإنسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الإنساني ولا ترتبط بوظيفة الاتصال التي تؤدّيها اللّغة. ثمّ تطوّرت نظرية القواعد التوليدية التحويلية على أيدي تلامذة تشومسكي أولاً ثمّ تشومسكي نفسه- وأخذت تتجه إلى اعتبار المحتوى الدلالي للجملة أحد العوامل الأساسية في البنية التحويلية؛ أي أنّها اتّجهت إلى ربط اللّغة بوظيفة الاتصال. وتسعى نظرية

القواعد التوليدية التحويلية إلى عدم قصر غاية البحث اللساني على وصف الظواهر اللغوية؛ بل تطمح أن تكون النظرية اللسانية قادرة على تقديم التفسيرات العلمية لجميع الظواهر اللغوية⁽⁷⁰⁾.

إنّ ما يمكن استخلاصه من نظرية "تشومسكي Chomsky" « تخطيها للدراسة السطحية التي تنتهجها اللسانيات البنيوية، ولا تتعدها للبحث عن المستوى العميق للكلام، ولا تأخذ مبدأ التأويل في حسابها، فالدرس التوليدي التحويلي يعالج عملية التكلّم وميكانيزماتها التي تظهر في الاستعمال المبدع للغة⁽⁷¹⁾ ».

و تجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنّ التحوّل التوليدي التحويلي لم يسلم من النقد، فقد سعى البعض إلى تبديد رؤية "تشومسكي Chomsky" الزامية إلى إعطاء الأولية للجملة، و اقتصر التحليل اللغوي عليها، و قد تضمن هذا الاعتراض والنقد دعوة صريحة وملحة إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة، والتطلع إلى وحدة تحليلية أكبر منها؛ لأنّ التحليل اللساني للجملة لا يقدّم التفسير الكافي بالنسبة لما يقدّمه النصّ.

بعد هذه الإطافة المقتضبة، يتبيّن لنا، أنّ البحوث اللسانية و الأدبية قد اقتصرت في تناولها للنصّ على دراسة الجملة باعتبارها الوحدة الأساسية في التحليل اللغوي؛ إذ إنّ التناول اللساني لها قد حظي باهتمام الكثير من الباحثين الذين انشغلوا بدراساتها فكان لهم دور معتبر في وضع زخم كفيف من المفاهيم و التصورات.

إنّ ما هو جدير بأن يشار إليه، هو أنّ عدم كفاية الجملة للتفسير والتحليل اللغويين والمعالجة التركيبية وعدم استطاعتها تقديم صياغة كلية ودقيقة لكل أبعادها؛ كان سبباً رئيساً في ظهور علم يتجاوز حدودها وأهدافها وكذا وسائلها.

المصادر والمراجع:

⁽⁰¹⁾ ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص 96.

⁽⁰²⁾ ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغاني، عواد علي، معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب - بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص 09.

⁽⁰³⁾ ينظر: نور الدين قارة مصطفى، شعرية رومان جاكسون، رسالة لنيل درجة الماجستير في النقد المعاصر، إشراف الدكتور عبد الله بن حلي، جامعة السانية - وهران - الجزائر، ماي 1999، ص 08.

⁽⁰⁴⁾ ينظر: نفسه، ص 08، 17.

⁽⁰⁵⁾ روبرت هولب، نظرية التلقي، تر/ عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط 1، 1994، ص 70.

⁽⁰⁶⁾ عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص 25.

⁽⁰⁷⁾ عبد السلام المسدي، قضية البنيوية - دراسة ونماذج - دار الجنوب للنشر، تونس، 1995، ص 94.

⁽⁰⁸⁾ ينظر: نفسه، ص 94.

⁽⁰⁹⁾ ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 2، 1980، ص 484.

⁽¹⁰⁾ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 56.

⁽¹¹⁾ ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - ص 11.

⁽¹²⁾ رومان جاكسون، الشكلايون الروس: نظرية المنهج الشكلي، تر/ إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الشركة المغربية للنشر المتحددين، الرباط، المغرب، ط 1، 1982، ص 35.

⁽¹³⁾ ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - ص 17.

⁽¹⁴⁾ ينظر: جورج موان، مفهومات في بنية النص، تر/ وائل بركات، دار محمد للطباعة والنشر

والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 1996، ص 34، 35.

⁽¹⁵⁾ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 09.

(17) ينظر: جورج موان، مفهومات في بنية النص، ص 36.

(18) ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - ص 09.

(19) ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 2، 1982

، ص 172.

(20) ينظر: جورج موان، مفهومات في بنية النص، ص 56.

(21) ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الدار البيضاء،

المغرب، 2002، ص 79.

(22) ينظر: رولان بارت، نظرية النص، تر/محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز

الإيماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث، 1988، ص 96.

(23) نفسه، ص 100.

(24) ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب،

جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل.

(25) ينظر: وولف دييتير ستيمبل، المظاهر النوعية للتلقي، تر/آفي محمد، سعيد بنكراد، مجلة العرب

والفكر العالمي، مركز الإيماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث، 1988، ص 116، 127.

(26) ينظر: فاضل ثامر، اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي

العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994، ص 129.

(27) ينظر: محمود خضر خربطلي، إشكالية موت المؤلف، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد 4،

1997، ص 286.

للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005، ص 69.

(28) ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص 79، 80.

(29) وولف دييتير ستيمبل، المظاهر النوعية للتلقي، ص 127.

(30) ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - ص 11.

(31) جورج موان، مفهومات في بنية النص، ص 38.

1998، ص 141.

(33) ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصل، ص 110.

(34) نور الدين قارة مصطفى، شعرية رومان جاكسون، ص 17.

(35) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 108، 109.

(36) نفسه، ص 110.

(37) عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - ص 16.

(38) جورج موان، مفهومات في بنية النص، ص 39.

(39) رولان بارت، نظرية النص، ص 93.

(40) ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، مصر، ط 1، 1975، ص 43.

(41) لساني أمريكي ولد عام 1887، اهتم بدراسة علم الأصوات وعلم الصرف في اللغات الهندوأوروبية،

نشر عام 1914 مقدمة في دراسة اللغة، ونشر مؤلفه اللغة عام 1933، توفي عام 1949

(42) زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص 52.

(43) ينظر: نفسه، ص 54، 55.

(44) ينظر: جان بياجي، البنيوية، تر/عارف منمنه، بشير أوبري، دار منشورات عويدات، بيروت،

لبنان، ط 1، 1971، ص 67.

(45) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة

والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 1988، ص 50.

(46) ينظر: نفسه، ص 65.

(47) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون،

الجزائر، 1999، ص 103.

(48) نفسه: ص 105.

(49) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 19.



⁽⁵⁰⁾ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر -

لونجيان - مكتبة لبنان ناشرون، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص74.

⁽⁵¹⁾ ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص107.

⁽⁵²⁾ ينظر: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية

للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ط2، 1983، ص234.

⁽⁵³⁾ ينظر: مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،

سوريا، ط1، 1989، ص110.

⁽⁵⁴⁾ ينظر: جان يياجي، البنيوية، ص66.

⁽⁵⁵⁾ محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة،

الجزائر، 2001، ص60.

⁽⁵⁶⁾ نفسه، ص61.

⁽⁵⁷⁾ ولد تشومسكي في فيلاديلفيا عام 1928، ودرس علم اللغة والرياضيات والفلسفة في جامعة

بنسلفانيا، كما تتلمذ على يد عالم اللغة الأمريكي هاريس (Harris) الذي كان أستاذا لعلم اللغة بجامعة

بنسلفانيا. ويعمل تشومسكي الآن أستاذا لعلم اللغة في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (M.I.T) منذ

عام 1955م.

⁽⁵⁸⁾ ينظر: إبراهيم كونغ الجو، رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية

www.arabization.org.ma

⁽⁵⁹⁾ ينظر: نفسه.

⁽⁶⁰⁾ ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النص أو لسانيات النص www.lissaniat.net

⁽⁶¹⁾ ينظر: نفسه.

⁽⁶²⁾ ينظر: إبراهيم كونغ الجو، رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية

www.arabization.org.ma

⁽⁶³⁾ ينظر: نفسه.

⁽⁶⁴⁾ ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النص أو لسانيات النص www.lissaniat.net



(65) ينظر: نفسه.

(66) ينظر: محمد خاقاني، تعليم اللغة العربية بين المنهج التقليدي والألسنية التوليدية التحويلية

www.hawzah.net

(67) ينظر: نفسه.

(68) ينظر: جعفر دك الباب، مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية - المنهج الوصفي الوظيفي -

www.awu-dam.org

(69) ينظر: إبراهيم كونغ الجو، رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللغوية

www.arabization.org.ma

(70) ينظر: جعفر دك الباب، مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية - المنهج الوصفي الوظيفي -

www.awu-dam.org

(71) أحمد يوسف، تحليل الخطاب: من اللسانيات إلى السيميائيات www.nizwa.net